مجلة الأسرة والمجتمع
مجلة دولية محكمة نصف سنوية
تصدر بثلاث لغات
FAMILY AND SOCIETY JOURNAL
International Biannual Journal
refereed Issued in three languages
الترقيم الدولي: ISSN:2392-5337 الترقيم الإلكتروني: EISSN: 2602-6716
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/236

المجلد: 06 / العدد: 01 / 2018	تاريخ إرسال المقال: 17 / 02/ 2018	تاريخ القبول: 21 /04 / 2018	تاريخ النشر: 30/ 06/ 2018	الصفحة: 18 – 32

الاتصال الشخصي وأسس التواصل الأسري

Interpersonal communication & fundaments of family intercommunication

دحمان خلاّص	جامعة الجزائر3، (الجزائر)	البريد الالكتروني: akhellas@hotmail.com

ملخص:

يكتسي الاتصال الشخصي (وجها لوجه) أهمية بالغة في حياة الفرد والجماعة، فهو يشكل عملية اجتماعية جوهرية في علاقة الفرد بالآخرين، في العلاقة داخل الجماعة الواحدة (الأسرة مثلا)، وفي علاقة الجماعة بالجماعات الأخرى. فلا يمكن للجماعة أن تعيش بدون اتصال وتفاعل وتأثير وتأثر. فالانتماء والهوية والتآلف والتماسك فيما بين الأفراد، وتلقين القيم والمعايير والعيش داخل الجماعة لا يمكن أن يتحقق خارج ذلك الاحتكاك والتفاعل المباشر في سياق علاقات الأخذ والعطاء والحوار والمشاركة في المعاني والمشاعر والأفكار، وفق ما تتطلبه الحياة داخل الجماعة الاجتماعية.

وتأتي هذه الدراسة لشرح قواعد الاتصال في منظومة الأسرة باعتبار هذه الأخيرة نواة كل العلاقات الاجتماعية وهي الجماعة الاجتماعية الأولى التي يُبنى عليها المجتمع. وإذا حقق اتصال أفرادها فيما بينهم التوازن المرجو انعكس ذلك على المجتمع أيضا.

الكلمات المفتاحية: الاتصال، تفاعل، حوار، علاقة، أسرة، تعايش، الآخر.

عنوان المقال: الاتصال الشخصي وأسس التواصل الأسري	المؤلف: دحمان خلاّص	المجلد: 06 / العدد: 01 / 2018	الصفحة: 18 – 32

Abstract:

Interpersonal communication is very important in the life of the individual and the community. It is a fundamental social process in the relationship of the individual with others, and the relationship of the group (ex: family) and with other groups as well. The community cannot live without communicating, interaction, influencing and be influenced. Belonging, identity, harmony and cohesion among individuals, the teaching of values and norms, and living within the community cannot be achieved outside that friction and direct interaction in the context of the relations of giving and taking, dialogue and sharing meanings, feelings and ideas, as required by life within the social group.

This study is intended to explain the basis of communication within the family system, as the family is the nucleus of all social relations and is the first social group on which society is based.

Keywords: communication- interaction - relationship- individual- others- family.

مقدمة:

يعد الاتصال الشخصي نمط الاتصال الأول الذي عرفه الإنسان واستخدم رموزه للاحتكاك بالآخرين وللتفاهم معهم والانخراط في تنظيماتهم المختلفة. هذا الاجتماع ضروري للبشر، فالإنسان اجتماعي بطبعه واجتماعه ضرورة عضوية ونفسية وبشرية. فالإنسان يحتاج إلى الآخرين من أجل تحقيق حاجياته الأساسية في العيش؛ فهو يحتاج لمن يعينه على تحصيل مأكله ومشربه، كسوته وغطائه وكل ما يعينه على البقاء والانتماء والحماية والتضامن، وهي محصلات جهود كثير من النّاس، لكل واحد منهم دوره الذي يكمل دور الآخرين، ووظيفته التي تكمل وظيفة كل واحد منهم " فلا بد من اجتماع القُدَرِ الكَثِيرَةِ من أبناء جنسه لِيَحْصُلَ القُوتُ له ولهم فيحصلُ بالتَّعَاوُنِ قَدَرُ الكِفَايَةِ من الحاجة لأكثر منهم بِأَضْعَافٍ وكذلك يحتاج كلُّ واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه... وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قُوتٌ ولا غذاء ولا تتم حياته" .(ابن خلدون، (**2006**)، ص.**48**). هذا الاجتماع البشري لا يمكن تحصيله أو تفعيله إلا بالاتصال فيما بين البشر وفي سياق نسق اجتماعي

صريح وواضح ينظم علاقات الأفراد وتفاعلهم داخله وتتحدد من خلاله الأدوار والمكانة الاجتماعية للأفراد، وفق المعايير والقيم التي تحكم الجماعة، وبذلك يكون الاتصال الإنساني جزءاً من حياة الإنسان، يتجدد ويتطور كلَّما تجددت أو تطورت بيئته، وكلما زاد أو كثر عدد الأفراد الذين يتفاعل معهم هذا الإنسان ضمن ما يسمى العلاقات الاجتماعية.

أولا- وظائف الاتصال الشخصي في العلاقات الاجتماعية

يعتبر الاتصال الشخصي عملية حيوية في الحياة الاجتماعية فقد عمل عبر مسيرة الإنسانية على جمع شمل النّاس وتقاربهم وتعاضدهم واتحادهم من أجل التعايش مع الطبيعة والاستمرار والبقاء. ولعل أول وظيفة للاتصال تتمثّل في التفاعل الاجتماعي كأول خطوة ناجحة لمحصّلة الاحتكاك المباشر بالآخر من خلال تبادل الأفكار والاتجاهات والمعاني والخبرات، عبر الرموز اللفظية وغير اللفظية بغرض إنجاز أهداف اجتماعية معينة كالانتماء، التقدير، النجاح والزواج وبناء أسرة. والتفاعل لا يؤثر في الفرد فقط بل قد يُعدّل أو يطور سلوك كل الأطراف الذين يدخلون فيه.

ويمكن تحديد أهم الوظائف التي يؤديها هذا النمط الإنساني الحيوي كما يلي:

1- الجمع بين الأفراد وتشكيل الجماعة

وهي أقدم وظيفة عبر التاريخ وما تزال برغم التطور التكنولوجي الكبير الذي صاحب وسائل الاتصال الجماهيري وانبهار الإنسان بإتاحاتها الهائلة المعقدة والمتعددة الاستخدامات، فرحلة البحث عن الآخر وظيفة مستمرة للاتصال الشخصي من أجل إشباع الحاجات وتكاثر النسل التعارف والتعاون، ولعل الأسرة نواة تشكيل الجماعة ولازالت تحافظ على هذه المكانة وتدافع عنها برغم تأثير التطور الاجتماعي الذي أنتج نماذج جديدة للعلاقات الأسرية تخرج أحيانا عن الأعراف والقيم المتوارثة.

فالأسرة هي أقوى رابطة اتصالية يتفاعل فيها الأفراد وتربط بينهم مشاعر الحب والمودة والتراحم والتضامن، فالرابطة الزّوجية ورابطة الأمومة والأبوة والأخوة خصائص يعزز ميثاقها ويحافظ على ديمومتها وبقائها الاتصال الشخصي.

عنوان المقال: الاتصال الشخصي وأسس التواصل الأسري	المؤلف: دحمان خلاّص	المجلد: 06 / العدد: 01 / 2018	الصفحة: 18 – 32

2- الوظيفة التربوية والتوجيهية

تنطلق التربية من الأسرة وتبدأ بالرعاية اللازمة للأطفال وتقديم المأكل والمشرب والحنان والحب والحماية، ومن ثم تتطور إلى التدريب اللغوي وتنمية مدارك الصغار لبناء شخصيتهم وتزويدهم بالخبرات والمعارف والأخلاق والقيم. وتتطور التربية لتشمل توجيه السلوك وتعديله بما يتلاءم وسلوك الجماعة والقيم التي تحكمها، وتسمى هذه المرحلة بالتنشئة الاجتماعية (التطبيع الاجتماعي).

3- الوظيفة التعليمية والمعرفية

يقوم الاتصال المدرسي بدور تكميلي هام لما يتلقاه الطفل في الوسط العائلي، فالاتصال بين التلاميذ والاحتكاك المستمر والتفاعل ينمي قدراتهم على اكتشاف أنفسهم والآخرين، ويقدم لهم تجربة جديدة لمعرفة العالم الخارجي وإجراء المقارنات بين عالم الأسرة وعالم الأقران والزملاء، والتدريب والتعليم ينميان القدرات الذهنية واللغوية للطفل ويُكسبانه مهارات جديدة من أجل النمو والتطور في تناغم مع المحيط الذي يعيشون فيه.

4- الوظيفة الاجتماعية

إن الاحتكاك بالآخرين وتقاسم الأدوار الاجتماعية معهم والتعايش المشترك بين الأفراد يُكسبهم معارف وخبرات واتجاهات جديدة إلى تلك التي في محصلتهم التربوية والأسرية، فالاتصال البشري يدفع النشاط الاجتماعي ويعمل على إحداث التغييرات الثقافية والاجتماعية، حيث ينتقل بالأفراد من التعبير الغريزي إلى الإلهام بما ينشئ اتفاقاً عاماً بين الأفكار، ويؤكِّد الشعور بأنَّ النَّاس يعيشون مع بعضهم البعض "من خلال تبادل الرسائل وترجمة الفكر إلى عمل، تعبيراً عن العواطف والحاجات، من أبسط المهام التي تكفل بناء الإنسان، حتى أسمى مظاهر الإبداع أو أشد مظاهر التدبير" (ستون ماك برايد، (1981)، ص27).

عنوان المقال: الاتصال الشخصي وأسس التواصل الأسري	المؤلف: دحمان خلاّص	المجلد: 06 / العدد: 01 / 2018	الصفحة: 18 – 32

5- الاتصال الشخصي بوابة التواصل الاجتماعي

يفتح الاتصال الشخصي لأفراد المجتمع آفاقا رحبة من التواصل والتوافق والتضامن عندما يقوم على أسسه الصحيحة فيتفاعل النّاس بإيجابية مع الحياة وما يطرأ من تطوراتٍ سريعة وتغيرات متلاحقة وأوضاع متقلبة وحركية مستمرة، ذلك أنه يستوعب مضامين إنسانية ليس بمقدور أي نمط آخر أن يستوعبها بالقدر الذي يحقق التوافق والانسجام والسكينة والأمان. وتتمثل تلك المضامين فيما يلي:

5-1- التقارب النفسي والروحي

الإنسان في شد وجذب مستمرين مع الحياة وهو في حاجة دائمة إلى من يتضامن معه نفسياً، وإلى من يقترب منه روحياً ليخفف عنه الآلام ويرفع من معنوياته، أو إلى من يستشيره ليستفيد من رأيه السديد أو حكمته الشافية. فيعمل الاتصال هنا على بث المسرة ونزع الغم والهم، وزرع السكينة.

5- 2- التعاون في تَيْسِير شؤون الحياة

يحتاج الفرد إلى عون الآخرين. فتكوين أسرة مثلا يحتاج إلى اتصال زواجي، ويقتضي بناءُ هذه الأسرة والحفاظُ على استقرارها تعاونَ الزوجين والالتزام بالأدوار المنوطة بكلٍّ منهما لتربية الأبناء وتنشئتهم. ويحتاج الأخ لأخيه يسنده عند الضرورة ويتضامن معه. وعلى ذلك تكون الجماعات؛ فاجتماعها يقتضي تناغم أدوارها وتكاملها.

5-3- تحقيق الأهداف المشتركة

تتعدد اهتمامات الجماعة وأهدافها التي تُسطّرها لبناء مستقبلها بتعدد مناحي الحياة وتنوع الحاجات التي يتطلع أفرادها إلى تحقيقها، وهذه الأهداف المشتركة تحتاج إلى تعاون وتواصل يدفع إلى تحقيقها، تتضافر خلالها جهود كل الأفراد من أجل الوصول إلى الغاية الجماعية.

5- 4- التعايش بين الأفراد "Coexistence "

تحمل الدلالة اللغوية للتعايش معاني الألفة والمودّة ومنه التعايش السلمي. وعَايَشَه أي؛ عاش معه. والعيش معناه الحياة وما تكون به من المطعم والمشرب والدخل، ويتطلب التعايش تذليل الخلافات التي تظهر بين الأفراد وداخل الجماعة، من ذلك الخلافات داخل الأسرة، حتى لا تتسبب في تصدع العلاقات الاجتماعية وتفكك الجماعة.

عنوان المقال: الاتصال الشخصي وأسس التواصل الأسري	المؤلف: دحمان خلاّص	المجلد: 06 / العدد: 01 / 2018	الصفحة: 18 – 32

ثانيا– مقاصد الاتصال الشخصي

1– معرفة الآخر:

يختلف الاتصال والتلاقي بين البشر عن التلاقي الذي يحدث بين المواضيع الفيزيائية (تلاقي الأشياء). فالفرد حين يلتقي شخصا آخر لا يلتقيه كما لو أنّه اصطدم بشيء أو التقى موضوعا. كما أنه لا يلتقيه بمستوى " الهو" أي الغائب لأنه بذلك يجعل من الآخر موضوعا أو بصورة أخرى يتعامل معه كما يتعامل مع الطبيعة أو الأشياء، فحسب الفيلسوف الفرنسي غبرييل مارسيل فإن "وجود الذات لا ينكشف إلا في إطار من التواصل الحي مع غيرها من الذوات

"(**حسن هنداوي، (2011)، http://www.alhiwartoday.net/node/1791**).

تتطلب معرفة الآخر الالتزام ببعض الضوابط نوجزها في الآتي:

1-1- **قبول الآخر على ما هو عليه:** القبول بسلوك الآخرين وصفاتهم وأخلاقهم وأفكارهم ومشاعرهم لأن ذلك هو واقع كل إنسان. فالاتصال بالآخر يقتضي الاعتراف بالتنوع والتعدد والاختلاف في الأفكار والاتجاهات، والإقرار بوجود الآخرين.

1-2- **الحِلْمُ والأَنَاةُ والرِّفق:** يقتضي اتصالنا بالآخرين التحلي بالصبر والتروي والحلم ونبذ الأحقاد، والابتعاد عن الشقاق والفرقة، ولذلك فإن من مبادئ الاتصال الفعال تحمُّلُ النقص والضعف الذي هو من طبيعة البشر.

1-3- **فهم الآخر والتآلف معه:** ومعناه التعامل مع الآخر بالأسلوب الأقرب إلى شخصيته. يتطلب التآلف مجاراة الآخر؛ والمجاراة هي أن تجعل سلوكك الخارجي يتوافق مع سلوك الشخص الآخر الخارجي بما يحقق الانسجام ويبث الألفة والتقارب في علاقتنا بالآخرين، وتصطلح الباحثة في علم الاجتماع صباح عياشي على البعد بـ"الذكاء العاطفي الاجتماعي".(**صباح عياشي، (2009)، ص 760**).

1-4- **تقدير الآخر:** ويعني معاملة الآخرين بما يحفظ كرامتهم ويدعم شخصيتهم ويجلب لهم المسرة والاستحسان. فالنّاس يبحثون عمن يقدرهم وإذا وجدوه تمسكوا به وأحبوه. ويرغب الإنسان أن يحظى دائما بالمنزلة التي تليق به والاعتراف بكيانه. فالكلمة الطيبة تقدير، والشكر تقدير، والهدية والمكافأة تقدير، وهكذا.

1-5- **الاهتمامً بالآخر**: وهو عامل إنساني وحاجة يبحث عنها كل النّاس وتبعث في الفرد الثقة والسعادة وتُدخل السكينة في النفس، وتقوي المحبة والأخوة التي ينبغي أن تعم المحيط الاجتماعي.

1-6- **التواضع**: للتواضع معنيان؛ معنى يُقصد به تقبُّل الحق من أي إنسان يأتي منه هذا الحق، فمن النّاس من لا يقبل الحق إلا إذا جاء ممن هو أكبر منه أو أعلى مرتبة، وقد يأتي عن مخافة أو ضعف. فالتواضع هو القَبول بالحق من كل النّاس. وأما المعنى الآخر للتواضع فهو خفض الجناح للنّاس؛ أي معاملة الآخرين بلين، وهو تَقَرُّبٌ من الآخرين ومحاكاتهم وتحسس اهتماماتهم وحاجاتهم.

1-7- **التراحم**: الرحمة أساس مهم في اتصال الفرد بالآخرين وعلاقاته بهم، وتعني الشعور بوجود الآخرين وحب الخير لهم، والعطف عليهم ورفع الغبن عنهم، وعدم إيذائهم أو الاعتداء عليهم، والعفو عن الآخر عند المقدرة والسلطة، كما يدل التراحم على تقدير مشاعر الآخر ورؤية أحواله وظروفه.

2 – سلوك العطاء:

قد ينظر النّاس إلى مسألة العطاء من منظور الذات السفلى التي تهتم بالماديات وتقيم علاقات مبنية على ردود أفعال الآخرين؛ أي بمعنى بقدر الأخذ يكون العطاء. فالاتصال الفعّال والايجابي يقوم على قانون العطاء الذي تحكمه نظرية تختلف عن النظرة الذاتية السائدة. فالفرد اعتاد أن يستقبل ويتلقى ويأخذ، ولذلك من واجبه أن يُعطي الآخرين مما اكتسب ويفيدهم مما تحصل عليه من علم وخبرات ومعارف يحسن ويعطف، يرحم ويُقدّم الحنان والرعاية، ويشرح صدره للآخرين، دون أن يطلب من الآخرين أن يُعطوه. فإذا تحققت هذه النظرية للعطاء بين الأفراد يكون التواصل في أرقى حالاته.

ثالثا– مبادئ الاتصال الشخصي في النظام الأسري:

1- في نظام الزّواج:

قد يبدو هناك بعض التشابه بين مفهومي الزّواج والأسرة من حيث بعض الخصائص الوظيفية. إلا أنّ الزواج نظام اجتماعي قائم بذاته، فهو نوع من السلوك المقنن الذي يُشبع أكثر من حاجة من الحاجات الاجتماعية. وهناك فرق بين الزواج والتزاوج.

فالتزاوج يدل على حاجة بيولوجية يشترك فيها البشر مع باقي الكائنات الحية أما الزواج فهو مفهوم سوسيولوجي يختص به البشر دون غيرهم، وهو نظام قائم بذاته.

الزواج عقد واتفاق بين رجل وامرأة على الأقل، لتكوين علاقة ورابطة زوجية وفق شروط تحددها العادة أو العرف أو القانون، كيفما كان شكل هذه العادات والأعراف والقوانين بهدف تكوين أسرة، ومن ثم يشكّل الزّواج نظاماً اجتماعياً يساهم بنصيب كبير في تنظيم الجماعة وفي تقنين الحاجة البيولوجية، أي؛ الغريزة الجنسية، ويقوم الزّواج على علاقة دائمة بين الطرفين والرغبة في الحياة المشتركة، وأي خروج عن هذا النّظام هو خروج عن اعتراف المجتمع به ويُعد انحرافا عن قوانينه، وتقوم العلاقة الزوجية على الاتصال والتفاعل المباشر وجها لوجه إذ بدونه لا تكون هذه العلاقة.

2- في نظام الأسرة:

يشبه الإنسان باقي الكائنات في اجتماعه وتكتله الطبيعي في جماعة متآلفة ومتجانسة، وتشكل الأسرة خلية هذا التكتل الأولي الذي يهدف إلى العيش في جماعة منظمة، متحدة ومتضامنة، شأنها شأن الزواج إذ تتشكل من ارتباط الجنسين (الأبوين)، حيث ينشأ عن هذه العلاقة نسل جديد(الأولاد)، فالأسرة نظام اجتماعي له علاقة أيضا مع باقي الأنظمة التي يتشكل منها المجتمع، بل وتزود الأسرة تلك الأنظمة بأجيال من أفرادها.

تتأسس الأسرة على العلاقة المباشرة وجها لوجه بين أفرادها وكما عبّر عن ذلك الأمريكي تشارلز كولي" **C.H Cooley**"؛ فهي تقوم كذلك على "التعاون الواضح والصراع والتعبير الحر عن الشخصية والعواطف لتنشئة أفرادها." (**نيقولا تيماشيف، (1989)، ص 154**) إلى وقت غير بعيد كان نظام الأسرة يتكفل بمختلف الوظائف لأعضائه، من غذاء وتربية، وصحة وحماية، وتكوين وعمل وتنظيم ، غير أن تطور المجتمعات أوجد أنظمة أخرى خلفت النظام الأسري في مختلف مناحي الحياة. وبرغم هذا التحول إلا أن هناك عدداً من الوظائف التي يبقى النظام الأسري محافظا عليها، نذكرها بإيجاز وهي:

2-1- الوظيفة العاطفية: وهي التفاعل الوجداني الذي يتقاسمه أفراد الأسرة عبر مشاعر الحب والمودة والحنان، فالفضاء العائلي هو المجال الوحيد الذي يمارس فيه الفرد عواطف الأبوة والأمومة والأخوة.

2-2- الوظيفة الحضارية: فالأسرة "تؤكد مسيرة الحضارة وترابط الأجيال من خلال نقل ثقافة المجتمع للأعضاء"،(خليل الجميلي، (**1997**)، ص **25**) وبالتالي تجنب أفرادها السلوك ذات التأثيرات السلبية والمنحرفة التي لا تتناسب مع قيم المجتمع الحضارية، فالأسرة تصل الأفراد بظروف مجتمعهم وتطوره ليسايروا التغير الاجتماعي.

2-3- الوظيفة الاقتصادية: الأسرة في المجتمعات المعاصرة أصبحت وحدة مستهلكة لأن المجتمع أوجد منظمات بديلة تقوم بعمليات الإنتاج الآلي وتوفير السلع والخدمات، ومن هنا أصبح دور الأسرة غالبا دوراً استهلاكيا أكثر منه إنتاجيا.

2-4- حفظ النوع البشري: تهتم الأسرة بحفظ النوع البشري من خلال اتصال جنسي مشروع يستلزم تصديق المجتمع وقبوله، وفقا لقواعد تمثل في جملتها " تنظيمات اجتماعية تتحكم فيها العادات والتقاليد المجتمعية". (سناء الخولي، (**1995**)، ص**73**)

2-5- إعالة الأفراد وتربيتهم: فالأسرة تقوم برعاية الطفل وتوفير الغذاء ومتابعة نموه وتلقينه العادات، المعتقدات والخبرات اللازمة، وتنمية الشعور بالانتماء الأسري والاجتماعي وبناء شخصيته، كما تقوم بتوفير الإشباع النفسي للأفراد بتوفير علاقات الاهتمام والتكافل والرعاية والأمن.

2-6- التربية الاجتماعية: الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية التربوية الأول التي تتولى مهمة تزويد الفرد بقواعد السلوك والآداب العامة وقوالب العرف والعادات والتقاليد ومستويات الخير والشر، والرذيلة والفضيلة، ومعاني الأخلاق، والعادات والتقاليد.

رابعا- مقومات الاتصال عبر نموذج الأسرة:

يمكن اعتبار الأسرة نموذجا لشبكة من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حيث يوجه الفرد عبرها حاجاته وفق أهداف بيولوجية، وجدانية، نفسية واجتماعية، من خلال تفاعله وتواصله مع أفراد أسرته، ولذلك يكون تأثير هذه العلاقة شاملا أكثر من تأثير الجماعات الأخرى، ويتضمن كل جوانب تكوين الشخصية.

يمكن تصنيف مقومات الاتصال في العلاقة الأسرية كما يلي:

1– الاتصال بين الزوجين:

يبدأ الاتصال الفعلي بين الزوجين مع أول ليلة تُقرّها الأعراف والتقاليد والمراسيم العائلية المتعارف عليها." ليلة الزفاف" (الدُّخلة في بعض المجتمعات)، فهي أول امتحان دقيق للاتصال" التزاوجي" وعامل له طقوسه الخاصة وتأثيره النفسي والاجتماعي على العلاقة الزوجية، فإن كلِّل هذا التعارف بالرضا زال الخوف من فشل العلاقة. وإنّ بداية الاتصال بهذا النجاح تهيئ الأرضية لما سيواجهه الزوجان من مهام تفرضها طبيعة العلاقة الجديدة، لذلك فالاتصال الزواجي(القِران) يحتاج إلى معاملة خاصة فيها مؤانسة وتعارف، اتصال روحي ومعنوي قبل أن يكون عضويا أو بيولوجيا.

وسُنّة الزواج تقضي بضرورة بناء أسرة، والإنجاب والرعاية والالتزام بالدور الذي تُقره هذه الرابطة الاجتماعية والتواصل والاستمرارية.

تحتاج الرابطة الزوجية لمجموعة من الشروط أهمها:

1–1– الحوار الزوجي: يعتبر الحوار أساس بناء الحياة الزوجية، وينبغي أن يلتزم به الزوجان منذ اللحظة الأولى التي تبدأ فيها المعاشرة الزوجية وأن تتطور أساليبه وأدواته مع تطور الحياة الزوجية كذلك، ولا يقتصر الحوار على تبادل الأفكار والمواقف والآراء حول المسائل الزوجية والأسرية بالطرق الهادئة باستخدام الأساليب اللفظية وغير اللفظية في التعبير فحسب، بل يحتاج الحوار الزوجي إلى مقومات تتصل بالسلوك، نوجزها في:

– التواضع والرحمة، التسامح والاعتذار: فالعلاقة بين الزوج والزوجة علاقة مودّة ورحمة، وهذه العلاقة تكون سكناً للنفس وطمأنينة للروح وراحة للجسد، وهي رابطة تؤدي إلى تماسك الأسرة وتقوية بنائها واستمرار كيانها الموّحد.

– الاحترام المتبادل وتقدير الآخر والعشرة بالمعروف: فالرّابطة الزوجية عقد بالتراضي يُلزم الطرفين بالقبول بالحياة في جميع أحوالها التي لا تتنافى وقيم الجماعة.

– التفاهم: ويعني النظر إلى الأمور من الزاوية التي يستحسنها الآخر، وتجاوز النقائص والعثرات واللوم، والتعامل بإيجابية في المواقف الصعبة وقبول الرأي الآخر، وتوفير الأجواء الودية الصافية التي تُجنّب توتر العلاقة، ليحل محلها الاهتمام والتقارب بين الزوجين.

عنوان المقال: الاتصال الشخصي وأسس التواصل الأسري	المؤلف: دحمان خلاّص	المجلد: 06 / العدد: 01 / 2018	الصفحة: 18 – 32

– الاستماع والإصغاء: الاهتمام بحديث الآخر والتجاوب مع المواضيع والأفكار التي يُدلي بها بعدم مقاطعة أي فكرة قبل إتمامها، اجتناب الجدال، ومحاولة فهم ما يعرضه الطرف الآخر قبل السؤال أو التعليق أو إبداء الرأي.

– اجتناب الاحتدام: ويعني أن يجتنب كل طرف التعصب في الرأي أو الجدال الأجوف والمقاطعة في الكلام ورفع الصوت، والسرعة في الحكم، فتلك أساليب تقتل الحوار وتمد في عمر الخلاف وتؤثر العلاقة.

– التزام السرية في الحوار: فمعظم حديث الأزواج أو خلافاتهم تدور حول مواضيع تخص العلاقة الزوجية وما يرتبط بها، ولذلك يحتاج الزوجان إلى المواجهة البعيدة عن إشراك الآخرين كالوالدين أو الأقارب من الطرفين كلّما حدث خلاف. كما يتطلب أن يكون بمعزل عن الأبناء حتى لا يتأثروا أو يُصدموا.

– حسن الظن والتماس الأعذار: فحسن الظن يطرد الشك ويؤدي إلى انشراح الصدر ويدعم الألفة والمحبة بين الزوجين. وتوفر هذه الخصال فرصا أكثر للفهم والإفهام. والتماس الأعذار هو أن يجد أحد الزوجين عذرا لزوجه عن هفوة أو نقص، تقصير أو ضيق، فلا يلومه ولا يعاتبه.

1–2– التواصل الزوجي: تحتاج العلاقة الزوجية والأسرية إلى الاستقرار والدوام، فهي ليست علاقة ظرفية، وهي لذلك تختلف عن أشكال الاتصال الأخرى في الشكل والجوهر. ويتطلب التواصل الزوجي ما يلي:

– المساندة المتبادلة والدعم النفسي والاجتماعي.

- التسهيل والترغيب والتشجيع.
- الشكر والثناء والعرفان.
- الهدية والجزاء.
- الابتسامة وطلاقة الوجه والدعابة.
- الاستماع الطيبً وتشجيع الطرف الآخر.
- مناداة الطرفين بعضهما باسميهما وبأحب الأسماء التي تُدخل السعادة في النفوس.
- المجالسة والمشورة والمرافقة.

2– الاتصال الشخصي مع الأبناء:

2–1– الاتصال الوجداني (العاطفي): تتوقف تنشئة الطفل تنشئة متوازنة على الدور الإيجابي الذي يلعبه الأبوان لتمكين الطفل من الحصول على أهم احتياجاته النفسية؛ وهي الشعور بالحب والأمان والرعاية المستمرة المليئة بالدفء والحنان. فبهذه الخطوات الدافئة المليئة بالاهتمام والرعاية التي يتلقاها من الأبوين، يُنمي الطفل خبرته ويكتسب الحب والعاطفة والحماية، ويزداد وعيُه بذاته وللمحيط الذي يعيش فيه.

فالرضاعة اتصال وتسمح للرضيع باحتكاكه بأمه، وفيها اللمس والشم والغذاء. وحضن الأم اتصال. وتعابير الوجه، الصوت والنظر اتصال، والقبلة والدعابة والحكاية تزيد رابطةَ الأمومة تفاعلا وتزيد رابطة البنوة قوة وانسجاما.

وللأب دور؛ فالاحتكاك واللمس، والصوت والمداعبات الكلامية والضحك اتصال. وحضن الأب أمان ودعامة في مواجهة الخوف. والهدية واللعبة تعزيز للثقة، وإشراك الابن في اهتمامات الأب وبعض أعماله دعامة وشحذ للهمة وهكذا.

2–2– التواصل مع الأبناء: يقتضي تواصل الأبوين مع الأبناء ما يلي:

– الحوار مع الأبناء: من غير المحبب ميل الأبوين إلى الأسلوب السلطوي الذي

يتخذ من الأمر والنهي أداة للاتصال؛ فذلك يُضعف ثقتهم في أنفسهم ويسبب لهم مشاكل نفسية واجتماعية كالخوف، العجز عن اتخاذ القرارات، والعزلة. فالحوار يقتضي احترام رأي الأبناء ومناقشتهم ورجع الكلام معهم، وحسن الاستماع والإصغاء إليهم

وتحسس اهتماماتهم واحترام قراراتهم إن كانت لا تتعارض وقيم الأسرة ولا تؤثر على تماسك الأسرة.

– الصدق مع الأبناء، والرفق والحميمة، والحديث اللين المفعم بالمحبة والرقة، عوامل تكسب الأبناء الثقة وتزيدهم أمانا وتفك عقدة الانغلاق والتردد والرهبة.

– اجتناب أساليب الردع واتصال العنف مع الأبناء، فالعنف يخلّف انعكاسات خطيرة تتجسد في السلوك العنيف والكذب والعزوف والخوف، وتخلق هوة بين الأولياء والأبناء وتدفع إلى الانحراف والتمرد.

– تحسس حاجات الأبناء وأحلامهم وأمنياتهم، ومساعدتهم في حل مشاكلهم حتى لا يميلون إلى بديل آخر لتعويض ذلك الشعور بغياب دور الأسرة في التضامن.

– تقدير الأبناء واجتناب السخرية أو الحط من قدراتهم، وتحاشي أساليب المفاضلة والتمييز بينهم. فالتمييز والمفاضلة يولدان الغيرة والحقد وينميان الكراهية بينهم.

– النزول بالفهم والحوار إلى مستوى الأبناء، مع بذل جهود متواصلة لرفع كفاءة التفكير لديهم واستيعاب الحياة بصورة تدريجية.

– احترام مشاعر وأفكار الأبناء مهما كانت متواضعة والانطلاق منها إلى تنميتها وتحسين اتجاهها.

– إشراك الأبناء في بعض الأعمال وغرس روح التعاون والمشاركة الجماعية لديهم وتنمية مهارة العمل.

– المحبة والألفة والتسامح والعفو.

– التشجيع والمجازاة الكلامية وحتى المادية كلما تمكن الأبناء من تحقيق إنجازات لأن ذلك تعبير عن الاهتمام، وهو شكل من أشكال الدعم المعنوي الذي يجعلهم أكثر عزماً على البذل.

– اعتذار الوالدين عن أخطاء بدرت منهم وأثرت في نفسية الطفل، ويعد من الأساليب الحضارية التي تساهم في بناء شخصية متوازنة للطفل.

– الخرجات الجماعية: تلعب أوقات النزهة الجماعية والترويح والأسفار دوراً كبيراً في تواصل الآباء بأبنائهم، فهي تخفف التوتر، وهي للأبناء فرصة للاكتشاف وللعب والمرح.

– زيارات الأهل والأقارب أو الأصدقاء، وهي تزيد الأسرة ارتباطا بأصولها فتقوي الصِّلات وتنشر الألفة والمحبة والإخاء، وتجدد الأفكار وتحافظ على القيم التي تزيد المجتمع تماسكا ومودة وسلاما.

3– مقومات الاتصال مع الوالدين:

التواصل مع الوالدين والتفاعل معهما يحقق للأسرة الانسجام ويحافظ على تماسكها، فللوالدين حقوق على الأبناء في التواصل الإيجابي، وهي كذلك حاجة نفسية وروحية واجتماعية تستدعي من الأبناء الوعي بها والالتزام بمقتضياتها.

ويندرج ضمن هذا النمط من الاتصال صلة الرحم كشكل نفسي روحي واجتماعي ورباني أيضا من أشكال الاتصال الشخصي، وهي تحمل بعد؛ الإحسان في القول والفعل، ويدخل في ذلك زيارة الوالدين وتفقد أحوالهم،

والسؤال عنهم، ومساعدة المحتاج منهم، والسعي في مصالحهم، إذا كان الوالدان لا يقاسمان الأسرة البيت نفسه أو حالت ظروف الحياة والتزاماتها دون وجود فرص كافية للاتصال بانتظام.

4- مقومات الاتصال الشخصي بين الإخوة:

لا يدرك الأطفال في مراحل النمو الأولى أهمية الاتصال فيما بينهم ويكون شكل الاتصال فطريا، فالحاجة إلى اللعب مثلا تدفع الأبناء إلى الاتصال فيما بينهم، ومن خلال هذا الاحتكاك وما ينجر عنه من تجاذب وتنافر طفولي سببه "الأنا" الذي يسيطر على الموقف الاتصالي بقوة تتكون أفكار الأطفال وينمو إدراكهم. ويرافق هذا الإدراك الحاجة إلى المؤانسة والمرافقة، ويلعب الآباء دوراً كبيراً في تصحيح المفاهيم وتصويب المدركات ومراقبة سلوك الأبناء، ومراقبة اتصالاتهم المتكررة لتتطور العلاقة بين الأخ وأخته والأخ وأخيه حتى تنمو وتتطور في شكلها الصحيح.

يلعب الحوار دوراً مهما في الإجابة عما يريده كل أخ من الآخر، ويتبادل الإخوة مشاعر الود والاحترام والمساندة، ويساعدون بعضهم بعضا في تقاسم الأدوار التي قد تتطلبها بعض المواقف الاتصالية في الأسرة، كما يتقاسمون الاهتمامات الأسرية المختلفة فيما بينهم في السراء والضراء.

خاتمــة:

من خلال ما أوردنا في هذا الموضوع يمكن أن نستخلص أن للاتصال الشخصي (وجها لوجه) أو الاتصال الإنساني المواجهي؛ الأهمية الحيوية في حياتنا التي لا يمكن أن يبلغها أي نمط اتصالي آخر، لأنه يلعب دوراً محوريا في تكوين العلاقات الإنسانية وتحديد اتجاهاتها ومستوياتها، والآثار المترتبة عنها. ويكون هذا الدور مُلِحّا انطلاقا من الأسرة أولا.

فالاتصال الشخصي بمفرداته الايجابية؛ الحوار– التفاهم– المحبة – الاحترام– الثقة– التسامح – التضامن – التعاون – التقدير، وغيرها من المفردات التي يجب أن تعم داخل المحيط الأسري؛ أمر في غاية الأهمية باعتبار الأسرة تعزز ثقة الفرد في نفسه ومن ثم في التواصل مع الآخرين. والأسرة تلقن الفرد كيفية التعامل مع الآخرين، فإذا غابت مفردات هذا الاتصال الايجابي في الأسرة سيكون من الصعب على الفرد أن يتلقاه ويتقبّله من الآخرين أو ينقله إليهم .

ويؤدي الاتصال الشخصي وظائف متعددة ومتداخلة تتوقف عليها استمرارية العلاقات الاجتماعية وهي تستجيب لحاجات الأفراد والجماعات المتعددة والمتنامية، وتحقق للأسرة توازنها المرجو وتفتح لها آفاقا رحبة على المحيط الخارجي بما يمكّنها بالتالي من المساهمة في تنمية المجتمع.

المراجع:

1– ابن خلدون، عبد الرحمن (2006)، **مقدمة ابن خلدون "الباب الأول الفصل الأول في العمران البشري على الجملة، المقدمة الأولى، في أن الاجتماع الإنساني ضروري** ، تحقيق؛ ابن عبد الرحمن عادل بن سعد، القاهرة، الدَّار الذَّهبية.

2– ابن شرف، النووي أبو بكر زكريا محي الدين(2006)، **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**، بيروت– لبنان، شركة دار المشاريع، ط.2.

3– تيماشيف، نيقولا (1989)، **نظرية علم الاجتماع**، الأزاريطة– الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط. 2.

4– خيري، خليل الجميلي،، عبده، بدر الدين (1997)، **الممارسة المهنية في مجال الأسرة والطفولة**، الإسكندرية، المكتب العلمي للنشر والتوزيع .

5– ستون، ماكبرايد (1981)، **أصوات متعدِّدة وعالم واحد**، اليونسكو.

6– عياشي، صباح (2008/2007)، **الاستقرار الأسري وعلاقته بمقاييس التكافؤ والتكامل بين الزوجين في ظل مختلف التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري،، دراسة ميدانية عبر مختلف مناطق الوطن؛ الشمال، الوسط، الجنوب، الشرق، الجنوب الشرقي، الغرب**، أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر2.

7– هنداوي، خالد حسن(2011/8/17)، **الإنسان ووجوده مع الآخر "المشاركة بين الذوات والتلاقي بين الأنا و"الأنت" من وجهة نظر غبرييل مارسيل**: http://www.alhiwartoday.net/node/1791

8– الخولي، سناء (1995)، **الزواج والعلاقات الأسرية**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

9– الجاحظ، أبو عثمان (1964)، **كتاب الحيوان**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الجزء الأول، ط1.